ابْنُ البَنَّاءِ العَدَوِيُّ
أُسْتَاذُ العُلَمَاءِ
(654 ـ 721هـ)

أَعِزَّائِي وَأَحِبَّائِي:

ابْنُ البَنَّاءِ العَدَوِيُّ.. أُسْتَاذُ العُلَمَاءِ، المُهَنْدِسُ وَالعَدَدِيُّ وَالطَّبِيْبُ، أَعْلَمُ عُلَمَاءِ عَصْرِهِ في عِلْمِ الحِسَابِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَقْطَارِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ، وَمَا جَاوَرَهَا مِنْ بِلادِ الأَنْدَلُسِ، فَقَدْ أَصْغَى الزَّمَانُ لِعِلْمِهِ، وَضَجَّتِ الدُّنْيَا بِمُؤَلَّفَاتِهِ، وَبَلَغَ دَرَجَةَ العَالَمِيَّةِ في حَيَاتِهِ، وَانْتَقَلَتْ أَخْبَارُهُ سَرِيْعاً عَبْرَ الأَنْدَلُسِ إِلَى مُعْظَمِ أَقْطَارِ أَوْرُوبَّةَ، وَهُوَ لَمْ يَزَلْ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ، وَرُبَّمَا قَصَدَهُ بَعْضُ طُلَّابِ العِلْمِ الأَوْرُوبِيِّينَ يَنْهَلُوْنَ مِنْ عِلْمِهِ الوَافِرِ، وَمِنْ مَعَارِفِهِ المُمَيَّزَةِ في عُلُوْمِ الرِّيَاضِيَّاتِ، في عَصْرٍ كَانَ فِيْهِ عُلَمَاءُ العَرَبِ وَالإِسْلامِ هُمْ مَصْدَرُ هَذِهِ العُلُوْمِ وَالمَعَارِفِ في العَالَمِ أَجْمَعَ.

ابنُ البَنَّاءِ العَدَوِيُّ، وَحِيْدُ زَمَانِهِ في مَعَارِفِ وَعُلُوْمِ عَصْرِهِ، اجْتَبَاهُ الزَّمَانُ بِمَيِّزَةٍ مِنَ النَّادِرِ أَنْ تَتَوَفَّرَ لِعَالِمٍ، فَقَدْ تَلَقَّى العِلْمَ عَلى أَيْدِيْ كِبَارِ العُلَمَاءِ وَالشُّيُوْخِ في بِلادِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ، كَمَا تَخَرَّجَ عَلى يَدَيْهِ كَوْكَبَةٌ نَادِرَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِيْنَ أَغْنَوا الفِكْرَ وَالتُّرَاثَ العَرَبِيَّ

وَالإِسْلامِيَّ بِأَعْمَالِهِمْ وَإِنْجَازَاتِهِمْ، فَكَانَ لِوَحْدِهِ مَدْرَسَةً في العُلُوْمِ وَالمَعَارِفِ، يَرْجِعُ إِلَيْهِ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ في كُلِّ مُعْضِلَةٍ أَوْ مَسْأَلَةٍ يَصْعُبُ حَلُّهَا أَوْ فَهْمُهَا، وَكَمَا وَصَفَهُ المُؤَرِّخُوْنَ، بِأَنَّهُ إِلَيْهِ انْتَهَتْ صِنَاعَةُ التَّأْلِيْفِ في عُلَمَاءِ المَغْرِبِ، فَكَانَ كَالغَيْثِ الَّذِي جَادَ بِهِ الزَّمَانُ عَلَى أَهلِ المَغْرِبِ، لِمَا كَانَ مِنْ انْتِشَارِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ في بِلادِ المَغْرِبِ مِنْ بَعْدِهِ.

وَكَانَ أَيْضاً ـ كَمَا وَصَفَهُ المُؤَرِّخُوْنَ ـ مِنْ أَعْظَمِ العُلَمَاءِ قَضَاءً لِأَوْقَاتِهِ في التَّدْرِيْسِ وَالتَّعْلِيْمِ، وَنَشْرِ العِلْمِ النَّافِعِ بَيْنَ النَّاسِ، حَيْثُ كَانَ يَجْلِسُ لِتَعْلِيْمِ النَّاسِ مِنْ بَعْدِ انْقِضَاءِ صَلاةِ الصُّبْحِ وَحَتَّى غُرُوْبِ الشَّمْسِ، وَحُلُوْلِ صَلاةِ المَغْرِبِ مِنْ غَيرِ تَوَقُّفٍ أَوِ انْقِطَاعٍ إِلَّا لِوُضُوءٍ أَوْ صَلاةٍ.

ابْنُ البَنَّاءِ العَدَوِيُّ.. شَيْخُ المُعَلِّمِيْنَ وَأُسْتَاذُ العُلَمَاءِ، لَمْ يَتْرُكْ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ العِلْمِ إِلَّا طَرَقَهُ، وَكَانَ لَهُ مَدَاخِلُ وَمَوَالِجُ في غِمَارِهَا، بَيْدَ أَنَّهُ تَخَصَّصَ بِعُلُومِ الرِّيَاضِيَّاتِ لِمَا كَانَ لَهَا مِنْ أَهَمِّيَّةٍ في عَصْرِهِ، وَبَرَعَ فِيْهَا بَرَاعَةً لاقَى لأَجْلِهَا الحظْوَةَ مِنْ حُكَّامِ البِلادِ.

لَفَتَتْ مُؤَلَّفَاتُ ابْنِ البَنَّاءِ أَنْظَارَ وَعُقُولَ المُفَكِّرِيْنَ الأَوْرُوبِّيِّيْنَ، فَنَشَطُوا في تَرْجَمَتِهَا وَنَقْلِهَا إِلَى لُغَاتٍ أَوْرُوبِّيَّةٍ شَتَّى، وَأَضْفَوا عَلَى ابْنِ البَنَّاءِ المَدِيْحَ وَالاحْتِرَامِ، بَعْدَ أَنْ لَمَسُوا ذَكَاءَهُ وَعَبْقَرِيَّتَهُ في تَقْدِيْمِ وَشَرْحِ العُلُوْمِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَعَمَدَتْ كَثِيْرٌ مِنَ الهَيْئَاتِ العِلْمِيَّةِ في الشَّرْقِ وَالغَرْبِ إِلَى التَّعْلِيقِ عَلَى إِنْتَاجِهِ العِلْمِيِّ الغَزِيْرِ، وَتَقْدِيْمِهِ لِلأَجْيَالِ مِنْ جَدِيْدٍ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ مِنْ أَفْضَلِ عُلَمَاءِ العَالَمِ في عِلْمِ الجَبْرِ وَالحِسَابِ.

كَرَّسَ ابْنُ البَنَّاءِ حُقْبَةً طَوِيْلَةً مِنْ عُمُرِهِ في خِدْمَةِ العِلْمِ، وَفِي السَّعيِ الـحَثِيْثِ نَحْوَ نَشْرِ نُوْرِ الـمَعْرِفَةِ وَالعِرْفَانِ بَيْنَ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ، حَتَّى ابْتَلاهُ الدَّهْرُ بِصُرُوْفِهِ وَآلامِهِ، وَرَمَاهُ عَلَى حِيْنِ فَجْأَةٍ بِقِسْطٍ مِنْ أَسْقَامِهِ الـمُبَرِّحَةِ فَمَا عَادَ يَدْرِي أَفي الـحِلْمِ هُوَ أَمْ في اليَقَظَةِ، فَصَارَعَ النِّسْيَانَ وَالـهَذَيَانَ حَتَّى وَافَتْهُ الـمَنِيَّةُ، فَلَحِقَ بِالرَّفِيْقِ الأَعلى، بَعْدَ أَنْ أَدَّى أَمَانَةَ العِلْمِ، وَوَاجِبَ التَّعْلِيْمِ، وَقَامَ بِهِمَا خَيْرَ قِيَامٍ.

فَمَنْ هُوَ ابْنُ البَنَّاءِ العَدَوِيُّ؟

❋ ❋ ❋

هُوَ أَبُوْ العَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُثْمَانَ الأَزْدِيُّ نِسْبَةً إِلَى قَبِيْلَةِ أَزْدٍ، كَما لُقِّبَ بِالعَدَدِيِّ لأَنَّهُ اشْتُهِرَ بَيْنَ النَّاسِ بِاشْتِغَالِهِ بِعِلْمِ الـحِسَابِ وَالـجَبْرِ، وَيُلَقَّبُ بِابْنِ البَنَّاءِ نِسْبَةً إِلَى جَدِّهِ الَّذِي هَاجَرَ مِنَ اليَمَنِ إِلَى مُرَّاكِشَ وَكَانَ يَعْمَلُ بَنَّاءً، وَهُوَ مِنْ قَبِيْلَةِ أَزْدٍ الـمَشْهُوْرَةِ.

فَبَنو أَزْدٍ بَطْنٌ مِنْ بُطُونِ العَرَبِ القَحْطَانِيِّيْنَ الَّذِيْنَ عَاشُوا بِاليَمَنِ قَدِيماً، وَقَدِ افْتَرَقُوا ـ كَمَا يَقُولُ عُلَمَاءُ الأَنْسَابِ ـ عَلَى نَحْوِ سَبْعٍ وَعِشْرِيْنَ قَبِيْلَةً، وَانْتَشَرُوا في كَافَّةِ أَنْحَاءِ الـجَزِيْرَةِ العَرَبِيَّةِ، وَفي العِرَاقِ، وَفي بِلادِ الـحِجَازِ، وَكَانَ مِنْهُمْ أَهْلُ الـمَدِيْنَةِ الـمُنَوَّرَةِ (يَثْرِبَ)، وَمِنْهُمْ أَزْدُ السُّرَاةِ، وَأَزْدُ عُمَانَ، وَأَزْدُ غَسَّانَ في اليَمَنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُقَالُ لَهُ: أَزْدُ شَنُوْءَةَ، وَهُوَ اسْمُ أَبِيْهِمْ، سُمِّيَ بِهِ لِشَنَآن[1] وَقَعَ بَيْنَهُمْ، وَاسْمُهُ: الـحَارِثُ.

---

(1) الشنآن: الحقد والبغض.

وَفي (مُخْتَارِ الصِّحَاحِ): أَزْدُ: هِيَ في اليَمَنِ، يُقَالُ: أَزْدُ شَنُوْءَةَ، وَأَزْدُ عُمَانَ، وَأَزْدُ السُّرَاةِ، وَفي ذَلِكَ قَالَ النَّجَاشِيُّ:

وَكُنْتُ كَذِيْ رِجْلَيْنِ رِجْلٌ صَحِيْحَةٌ وَرِجْلٌ بِهَا رَيْبٌ مِنَ الحَدَثَانِ
فَأَمَّا الَّتِي صَحَّتْ فَأَزْدُ شَنُوْءَةٍ وَأَمَّا الَّتِي شُلَّتْ فَأَزْدُ عُمَانِ

وَيَقُوْلُ شَاعِرُ الرَّسُولِ ﷺ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ رضي الله عنه مُفَاخِراً بِنَسَبِهِ:

إِمَّا سَأَلْتَ فَإِنَّا مَعشَرٌ نُجُبٌ الأَزْدُ نِسْبَتُنَا وَالمَاءُ غَسَّانُ

وَبِنَاءً عَلَى مَا تَقَدَّمَ: يَكُوْنُ نَسَبُ ابْنِ البَنَّاءِ لأَزْدِ اليَمَنِ، أَزْدِ غَسَّانَ.

وُلِدَ ابْنُ البَنَّاءِ في مُرَّاكِشَ سَنَةَ (654) هِجْرِيَّةً، وَمَا كَادَ يَعِي الدُّنْيَا مِنْ حَولِهِ حَتَّى أَخَذَ يَسْعَى عَلَى العُلَمَاءِ بَاغِياً العِلْمَ وَالمَعْرِفَةَ، كَمَا أَوْدَعَهُ أَبُوهُ مُنْذُ صِغَرِهِ الكُتَّابَ[1].

فَنُحِلَ عَلَى العِلْمِ وَالأَدَبِ وَالتَّقوَى، وَشَبَّ عَلى حُبِّ البَحْثِ وَالمُطَالَعَةِ في كُتُبِ المُتَقَدِّمِيْنَ، وَمَا إِنْ فُطِمَ عَلَى العِلْمِ حَتَّى شَرَعَ يَطُوْفُ عَلَى كِبَارِ عُلَمَاءِ بِلادِ المَغْرِبِ، وَبِالتَّحْدِيْدِ في مَدِيْنَةِ فَاس عَاصِمَةِ البِلادِ، وَحَاضِرَتِهَا الثَّقَافِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ.

وَمِمَّا شَجَّعَ ابْنَ البَنَّاءِ عَلَى التَّبَحُّرِ بِالعِلْمِ، هُوَ أَنَّ الدَّوْلَةَ المَرِيْنِيَّةَ الَّتِي حَكَمَتْ بِلادَ المَغْرِبِ وَقْتَئِذٍ شَجَّعَتْ طُلَّابَ العِلْمِ عَلَى الابْتِكَارِ وَالتَّخَصُّصِ العِلمِيِّ في شَتَّى فروعِ المَعرِفَةِ، وخاصَّةً العُلومَ التَّطبيقيَّةَ كَعلومِ الرِّياضياتِ وَالفَلَكِ وَالطِّبِّ وَالهَنْدَسَةِ وَالمِيْكَانِيْكَا، إِلَى جَانِبِ عُلُومِ الدِّيْنِ وَاللُّغَةِ وَالاجْتِمَاعِ.

---

(1) الكتَّاب: مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن الكريم.

وَجَدَ ابْنُ البَنَّاءِ طَرِيْقَ العِلْمِ أَمَامَهُ مُعَبَّداً، وَتَحْصِيْلَهُ مُيَسَّراً، وَالاخْتِصَاصَ العِلْمِيَّ في أَحَدِ فُرُوْعِهِ مُمْكِناً، وَلاسِيَّمَا أَنَّ البِلادَ تَعُجُّ بِالعُلَمَاءِ الَّذِينَ ذَاعَ صِيْتُهُمُ العِلْمِيُّ في كَافَّةِ أَنْحَاءِ العَالَمِ الإِسْلامِيِّ في حِيْنِهَا، وَفي بِدَايَةِ طَرِيْقِهِ العِلْمِيِّ تَلَقَّى ابْنُ البَنَّاءِ عُلُوْمَ اللُّغَةِ عَلى كِبَارِ عُلَمَاءِ مُرَّاكِشَ، فَأَخَذَ عُلُومَ العَرَبِيَّةِ عَنِ القَاضِي الشَّرِيْفِ الَّذِي كَانَ إِمَامَ الفُنُونِ اللِّسَانِيَّةِ في عَصْرِهِ، وَعَنِ العَالِمِ الكَبِيْرِ أَبي إِسْحَاقَ الصَّنهَاجِيِّ المَعْرُوفِ بِالعَطَّارِ، وَكَانَ عَالِماً أَدِيْباً ظَرِيْفاً مُلِمّاً بِفُنُونِ اللُّغَةِ وَالأَدَبِ، وَأَخَذَ عِلْمَ الفَرائِضِ وَالعَرُوضِ عَنْ أَبيْ بَكْرٍ الفَلُوْسِيِّ المُلَقَّبِ بِالفَارِ، أَبْرَزِ عُلَمَاءِ مُرَّاكِشَ في زَمَانِهِ، كَمَا دَرَسَ الفِقْهَ عَلَى أَبي مُوْسَى الشَّرْنَاتِي، وَالحَدِيْثَ عَلَى قَاضِي قُضَاةِ مرَّاكِشَ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيْدٍ الأَوْسِيِّ الأَنْصَارِيِّ.

وَعِنْدَمَا انْتَقَلَ إِلَى فَاس أَخَذَ العِلْمَ عَنْ كَوكَبَةٍ مِنْ عُلَمَائِهَا المَشْهُوْرِيْنَ، فَدَرَسَ عَلَى القَاضِي أَبِي الحَجَّاجِ يُوْسُفَ التَّجِيْبِيِّ، وَعَلَى أَبِي يُوْسُفَ يَعْقُوْبَ الزَّوَاوِيِّ، وَعَلَى الشَّيْخِ أَبي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الجَزولِيِّ، وَعَلى أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدٍ القَشْتَالِيِّ قَاضِي الجَمَاعَةِ في فَاس، وَدَرَسَ الرِّيَاضِيَّات عَلَى العَالِمِ الكَبِيْرِ عَبْدِ الوَاحِدِ بْنِ حَجلَة التِّلْمُسَانِيِّ، وَعَلَى ابْنِ مَخْلُوْفٍ السَّجْلَمَاسِيِّ المُرَّاكُشِيِّ، وَدَرَسَ الطِّبَّ عَلَى الحَكِيْمِ الشَّهِيْرِ بِالمَرِّيْخِ، ثُمَّ عَكَفَ عَلى دِرَاسَةِ العُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ بَجُهْدِهِ الذَّاتِيِّ، وَغَاصَ في أَعْمَاقِهَا مُسْتَخْرِجاً لآلِئَهَا الثَّمِيْنَةَ، وَمُجَلِّياً عَنْ حَقَائِقِهَا وَنَفَائِسِهَا المُفِيْدَةِ، فَلَمَعَ صِيْتُهُ، وَعَلا ذِكرُهُ بَيْنَ العُلَمَاءِ، وَأَكْبَرَ عِلْمَهُ رُؤَسَاءُ دَوْلَتِهِ وَكِبَارُ أَعْيَانِ عَصْرِهِ.

❋ ❋ ❋

لَقَدْ جَمَعَ ابْنُ البَنَّاءِ بَيْنَ العِلْمِ وَالفَضِيْلَةِ، فَكَانَ عَالِماً ثَبْتاً أَمِيْناً تَقِيّاً، كَرَّسَ في حَيَاتِهِ وَفي سِيْرَتِهِ العِلْمِيَّةِ قِيَمَ الفَضِيْلَةِ وَالأَخْلاقِ القَوِيْمَةِ، وَامْتَثَلَ الخِلالَ الحَمِيْدَةَ في سُلُوكِهِ وَفي أَعْمَالِهِ، وَلِهَذَا حَرَصَ رُؤَسَاءُ وَأُمَرَاءُ المَغْرِبِ عَلَى حُضُوْرِ مَجَالِسِهِ العِلْمِيَّةِ في مَدِيْنَةِ فَاس، وَهُوَ الَّذِي لاقَى مِنْهُمْ كُلَّ عِنَايَةٍ وَرِعَايَةٍ وَاهْتِمَامٍ، لِمَا لَمَسُوا مِنْهُ مِنَ الصِّدْقِ وَالإِخْلاصِ في خِدْمَةِ العِلْمِ وَمَسِيْرَتِهِ.

فَقَدْ جَهِدَ مُنْذُ إِتْمَامِهِ مَرْحَلَةَ تَحْصِيْلِهِ العِلْمِيِّ عَلَى خِدْمَةِ عُلُومِ الحِسَابِ وَالجَبْرِ وَالهَنْدَسَةِ وَالهَيْئَةِ وَالطِّبِّ، وَحَاوَلَ جُهْدَ اسْتِطَاعَتِهِ في تَقْرِيبِ هَذِهِ العُلُومِ لِأَذْهَانِ العَامَّةِ، وفي تَفْسِيْرِهَا وَشَرْحِهَا لِطُلَّابِ العِلْمِ الَّذِيْنَ كَانُوا يَفِدُوْنَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ وَصَوْبٍ، حَتَّى إِنَّهُمْ كَانُوْا يَرْكَبُونَ عُبَابَ البَحْرِ، وَيَجْتَازُوْنَهُ قَادِمِينَ إِلَيْهِ مِنْ بِلادِ الأَنْدَلُسِ لِيَأْخُذُوا عَنْهُ العِلْمَ وَمَعَارِفَ عِلْمِ الجَبْرِ وَالحِسَابِ وَالهَنْدَسَةِ.

وَلَقَدْ كَانَتِ الأَرْقَامُ الهِنْدِيَّةُ المَعْرُوفَةُ (بِالأَرْقَامِ الغُبَارِيَّةِ) الَّتِي أَدْخَلَهَا الخوارِزْمِيُّ مِنْ قَبْلُ عَلَى عِلْمِ الحِسَابِ العَرَبِيِّ إِلَى جَانِبِ الأَرْقَامِ العَرَبِيَّةِ الَّتِي انْتَقَلَتْ عَنْهُ إِلَى بِلادِ الأَنْدلُسِ، وَمِنْ ثَمَّ إِلَى أَوْرُوبَّةَ، مَثَارَ اهْتِمَامِ العُلَمَاءِ الَّذِيْنَ أَتَوْا بَعْدَهُ، وَشَاعَ اسْتِعْمَالُ الأَرْقَامِ العَرَبِيَّةِ في العَمَلِيَّاتِ الحِسَابِيَّةِ في بِلادِ الأَنْدَلُسِ، وَعُرِفَتْ بِالأَرْقَامِ العَرَبِيَّةِ، وَانْتَقَلَتْ هَذِهِ الأَرْقَامُ عَنْهُمْ إِلَى بِلادِ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ، فَحَرِصَ ابْنُ البَنَّاءِ عَلَى المُوَاءَمَةِ بَيْنَ الأَرْقَامِ الهِنْدِيَّةِ (طَرِيْقَةِ القُدَمَاءِ) وَبَيْنَ الأَرْقَامِ العَرَبِيَّةِ (طَرِيْقَةِ المُحْدَثِيْنَ في ذَلِكَ العَصْرِ) في العَمَلِيَّاتِ الحِسَابِيَّةِ، وَبَيَّنَ مَحَاسِنَ الطَّرِيْقَتَيْنِ وَإِنْ كَانَ جُلُّ اعْتِمَادِهِ عَلَى الأَرْقَامِ العَرَبِيَّةِ.

كَمَا اشْتُهِرَ ابْنُ البَنَّاءِ بِاعْتِمادِهِ الكَبِيْرِ عَلَى الجَوَانبِ التَّطْبِيْقِيَّةِ في عَلْمِ الحِسَابِ وَالهَيْئَةِ وَغَيْرِهِمَا، وَقَامَ بِابْتِكَارِ أَفْكَارٍ جَدِيْدَةٍ في عِلْمِ الحِسَابِ فِيمَا يَخُصُّ العَمَلِيَاتِ الحِسَابِيَّةَ، وَفي الأَعْدَادِ التَّامَّةِ وَالنَّاقِصَةِ، وَفي إِيْجَادِ التَّنَاسُبِ في الجُذُوْرِ الصُّمِّ في عَمَلِيَّتَي طَرْحِهَا وَجَمْعِهَا، وَفي حِسَابِ المُثَلَّثَاتِ في عِلْمِ المَسَاحَةِ، وَكَذَلِكَ في قَوَاعِدِ التَّكْسِيْرِ، وَإِنَّ طَرْحَهُ لأَفْكَارٍ جَدِيْدَةٍ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى العُلُوْمِ الرِّيَاضِيَّةِ، وَإِنَّمَا تَعَدَّاهَا إِلَى عِلْمِ الفَلَكِ وَالتَّنْجِيْمِ وَفي مَسَائِلِ أَحْكَامِ النُّجُوْمِ.

❁ ❁ ❁

لَقَدْ شَغَلَ ابْنُ البَنَّاءِ النَّاسَ بِعِلْمِهِ، وَاسْتَقْطَبَ اهْتِمَامَهُمْ في عَصْرِهِ، لِمَا وَجَدُوا فِيْهِ مِنْ عَزِيْمَةٍ صَادِقَةٍ وَجَادَّةٍ في خِدْمَةِ العِلْمِ، وَالمُضِيِّ قُدُماً بِالمَسِيْرَةِ العِلْمِيَّةِ وَالحَضَارِيَّةِ لِلأُمَّةِ، فَقَدْ تَخَرَّجَ عَلَى يَدَيْهِ كِبَارُ العُلَمَاءِ وَالمُفَكِّرِيْنَ الَّذِيْنَ أَسْهَمُوْا في نَهْضَةِ الأُمَّةِ وَحَضَارَتِهَا، وَفي مُقَدِّمَتِهِمُ العَالِمُ الكَبِيْرُ، وَالمُؤَرِّخُ المُفَكِّرُ العَظِيْمُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَلْدُوْن، وَغَيْرُهُ مِنَ العُلَمَاءِ البَارِزِيْنَ الَّذِيْنَ أَصْبَحُوا فَلاسِفَةَ عَصْرِهِمْ مِنْ بَعْدِهِ كَابْنِ النَّجَّارِ التَّلْمُسَاني، وَالعَلَّامَةِ القَلْصَادِيِّ الَّذِي كَانَ نَادِرَةَ عَصْرِهِ، وَالعَلَّامَةِ الشَّهِيْرِ الأُسْتَاذِ الحَيْسُوبِيِّ أَبي زَيْدٍ اللُّجَائِي، وَأَبي البَرَكَاتِ اليَلْفِيْقِيِّ، وَغَيْرِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ الَّذِيْنَ ازْدَهَرَتْ بِعِلْمِهِمْ حَوَاضِرُ المَغْرِبِ العَرَبِيِّ وَبَوَادِيْهِ في شَتَّى مَيَادِيْنِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ.

وَقَدْ أَشَادَ تَلامِيْذُ ابْنِ البَنَّاءِ بِسَعَةِ عِلْمِهِ، وَبِتَمَيُّزِهِ عَلَى عُلَمَاءِ عَصْرِهِ، فَهَذَا العَلَّامَةُ ابْنُ خَلْدُوْن يَعْتَرِفُ بِفَضْلِ أُسْتَاذِهِ عَلَى عُلَمَاءِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، فَيَقُوْلُ في مُقَدِّمَتِهِ الشَّهِيْرَةِ:

«وَلابْنِ البَنَّاءِ الـمُرَّاكُشِيِّ في عِلْمِ الـحِسَابِ تَلْخِيْصٌ ضَابِطٌ لأَعْمَـالِهِ مُفِيْـدٌ، ثُمَّ شَرَحَهُ بِكِتَابٍ سَمَّـاهُ (رَفْع الـحِجَابِ) وَهُوَ مُسْتَغْلِقٌ عَلى الـمُبْتَدِئِ، بِمَـا فِيْهِ مِنَ البَرَاهِيْنِ الوَثِيْقَةِ الـمَبَانِي، وَهُوَ كِتَابٌ جَلِيْلٌ أَدْرَكْنَا أَنَّ الـمَشْيَخَةَ تُعَظِّمُهُ».

وَهَذَا الإِمَامُ العَلَّامَةُ ابْنُ رُشْدٍ الفِهْرِيُّ، وَكَانَ أَحَدَ العُلَمَـاءِ الكِبَارِ الَّذِينَ عَاصَرُوا ابْنَ البَنَّاءِ، وَسَمِعُوا أَحَادِيْثَهُ العِلْمِيَّةَ في مَدِينَةِ فَاس، يُمَجِّدُ عِلْمَ ابْنِ البَنَّاءِ، وَيَرَى أَنَّهُ لَـمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِ عِلْمِهِ وَحَدِيْثِهِ في طُوْلِ البِلادِ وَعَرْضِهَا، فهو ـ عَلَى الرَّغْمِ مِـمَّـا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ جَمٍّ ـ لَـمْ يَعْتَـرِفْ إِلَّا بِعَالِـمَيْنِ، حَيْثُ قَالَ: «ليس لَكَ بِالـمَغْرِبِ إِلَّا رَجُلَيْنِ، ابْنَ البَنَّاءِ العَدَوِيَّ بِمُرَّاكُشَ، وَابْنَ الشَّاطِ بِسَبْتَةَ».

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِعُلَمَـاءِ الغَرْبِ، فَقَدْ نَوَّهُوا إِلَى فَضْلِ ابْنِ البَنَّاءِ عَلَى تَقَدُّمِ عِلْمِ الـحِسَابِ، وَعَلَى غَزَارَةِ عِلْمِهِ وَإِنْتَاجِهِ العِلْمِيِّ، فَقَدْ جَاءَ في (مَوْسُوْعَةِ عُلَمَـاءِ الإِسْلام): إِنَّ بَعْضَ مُؤَلَّفَاتِهِ نُقِلَتْ وَتُرْجِمَتْ إِلَى عِدَّةِ لُغَاتٍ أَوْرُوبِّيَّةٍ، وَقَدْ أَوْرَدَ الأُسْتَاذُ رُوْنُو (الـمُدَرِّسُ بِمَعْهَدِ الدِّرَاسَاتِ الـمَغْرِبِيَّةِ العُلْيَا ـ كُلِّيَاتِ الآدَابِ) في مَقَالٍ نُشِرَ بِمَجَلَّةِ الـمَعْهَدِ الـمَذْكُورِ، مُؤَلَّفَاتِ ابْنِ البَنَّاءِ، الَّتِي بَلَغَ عَدَدُهَا اثْنَيْنِ وَثَمَـانِيْنَ في التَّفْسِيْرِ وَالأُصُوْلِ وَالـمَنْطِقِ وَالفِقْهِ وَالفَلَكِ وَالعَرَبِيَّـةِ وَالـحِسَابِ وَالرِّيَاضِيَّاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ فُنُوْنِ الـمَعْقُولِ وَالـمَنْقُولِ وَالنَّقْدِ الأَدَبِيِّ وَعُلُومِ الـهَيْئَةِ وَالـحِسَابِ وَالـهَنْدَسَةِ وَالـجَبْرِ، وَكَانَتْ هَذِهِ الكُتُبُ دَلِيْلاً وَاضِحاً عَلى عَبْقَرِيَّتِهِ وَسَعَةِ عِلْمِهِ وَذَكَائِهِ النَّادِرِ، مِـمَّـا لَفَتَ إِلَيْهِ أَنْظَارَ الـمُسْتَشْرِقِيْنَ وَالعُلَمَـاءِ بِأَوْرُوبَّةَ، فَتَهَافَتُوا عَلَيْهِ شَرْحاً وَتَعْلِيْقاً وَنَقْلاً إِلى كَثِيْرٍ مِنَ اللُّغَاتِ الـحَيَّةِ.

ثُمَّ تُتابِعُ (مَوْسُوْعَةُ عُلَمَاءِ الإِسْلام) حَدِيْثَهَا عَنِ ابْنِ البَنَّاءِ قَائِلَةً: «وَنَقَلَ الـمُسْتَشرِقُ الأُسْتَاذُ (مَارِي) في مَـجَلَّةِ إِيْطَالْيَا سَنَةَ (1864م) كِتَابَ ابْنِ البَنَّاءِ الـمُعَنْوَنَ (تَلْخِيْصَ أَعْمَـالِ الـحِسَابِ) الَّذِي تَنَاوَلَ فِيْه بَحْثَ هَذَا العِلْم، بِكَيْفِيَّـةٍ مُبَسَّطَةٍ، وَبَيَّنَ القَوَاعِدَ الَّتِي يَـجِبُ أَنْ يَعْتَـمِدَ عَلَيْهَا الرَّاغِبُونَ في تَـحْصِيْلِهِ، كَمَـا نَقَلَ إِلَى الفَرَنْسِيَّةِ طَرَفاً مِنْهُ بِشَرْحِ القَلْصَادِيِّ الدُّكْتُوْرُ (فُوْبكِي) وَنَشَـرَهُ بِالـمَجَلَّةِ الآسْيَوِيَّةِ سَنَةَ (1863م)، وَقَدْ تَرْجَمَ (رِيْنُو) الأُسْتَاذُ بِمَعْهَدِ الدِّرَاسَاتِ العُلْيَا بِالـمَغْرِبِ رِسَالَـتَهُ في (أَنْوَاء) سَنَة (1938م).

وَنَوَّهَ بِـغَزَارَةِ عِلْمِ ابْنِ البَنَّاءِ، وَلا سِيَّمَـا في الـمَعْقُوْلِ كَثِيْرٌ مِنْ جَهَابِذَةِ العِلْمِ وَالـمَعْرِفَةِ مِـمَّنْ كَانَتْ لَـهُمْ صِلَةٌ بِهِ أَوْ بِكُتُبِهِ، وَمِـمَّنْ كَانَتْ تَـجْمَعُهُمْ دُرُوْسُهُ الـحَافِلَةُ في مُرَّاكُشَ وَفَاس وَغَيْرِهِـمَا مِنَ الـمُدُنِ العَرَبِيَّةِ.

ويُمْكِنُنَا إِجْـمَـالُ مُؤَلَّفَاتِ ابْنِ البَنَّاءِ عَلى الشَّكْلِ التَّالي:

1 ـ كِتَابُ تَلْخِيْصِ أَعْمَـالِ الـحِسَابِ: وَهُوَ أَهَـمُّ مُؤَلَّفَاتِهِ، تَنَاوَلَ فِيْهِ بَعْضَ الأَفْكَارِ الرِّيَاضِيَّةِ الـمُبْتَكَرَةِ، وَقَدْ تَنَاوَلَهُ بِالشَّرْحِ العَدِيْدُ مِنَ العُلَمَـاءِ.

2 ـ كِتَابُ الأُصُوْلِ وَالـمُقَدِّمَاتِ في الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ.

3 ـ كِتَابُ الـجَبْرِ وَالـمُقَابَلَةِ.

4 ـ كِتَابُ الإِسْطِرْلابِ وَاسْتِعْمَـالِهِ.

5 ـ كِتَابُ تَـحْدِيْدِ القِبْلَةِ.

6 ـ كِتَابُ أَحْكَامِ النُّجُوْمِ.

7 ـ كِتَابُ اليَسَارَةِ في تَقْوِيْمِ الكَوَاكِبِ السَّيَّارَةِ.

8 ـ كِتَابُ رَفْعِ الـحِجَابِ عَنْ عِلْمِ الـحِسَابِ.

إِضَافَة إِلَى مَـجْمُوْعَةٍ مِنَ الرَّسَائِلِ وَالأَبْحَاثِ الأُخرَى في مُـخْتَلِفِ العُلُومِ، مِنْهَا مَا وَصَلَ إِلَيْنَا، وَمِنْهَا مَا ضَاعَ وَلَـمْ يَصِلْنَا.

تُوُفِيَ ابْنُ البَنَّاءِ سنةَ (721) هِجْرِيَّةً بَعْدَ صِرَاعٍ مَعَ الـمَرَضِ دَامَ عدَّةَ سَنَوَاتٍ إِثْرَ مَرَضٍ عَصَبِيٍّ أَصَابَ دِمَاغَهُ.

الأَسْئِلَةُ وَالـمُنَاقَشَــةُ

1 ـ مَا هِيَ الـمِيِّزَةُ الَّتِي تَوَافَرَتْ لابْنِ البَنَّاءِ؟

2 ـ لِـمَـاذَا لُقِّبَ ابْنُ البَنَّاءِ بِـهَذَا اللَّقَبِ؟

3 ـ إِلَى مَنْ تَنْتَمِي قَبِيْلَةُ أَزْدٍ؟

4 ـ مَا الَّذِي شَجَّعَ ابْنَ البَنَّاءِ عَلَى طَلَبِ العِلْمِ؟

5 ـ مَنْ هُمْ أَهَمُّ العُلَمَـاءِ الَّذِيْنَ تَلَقَّى ابْنُ البَنَّاءِ عَنْهُمُ العِلْمَ؟

6 ـ مَنْ هُمْ أَهَمُّ تَلامِذَةِ ابْنِ البَنَّاءِ؟

7 ـ لِـمَـاذَا لاقَى ابْنُ البَنَّاءِ الرِّعَايَةَ مِنْ أُمَرَاءِ الـمَغْرِبِ؟

8 ـ مَاذَا وَاءَمَ ابْنُ البَنَّاءِ؟